تحليل ودراسة العلاقة بين التفسير والتأويل في آيات القرآن الكريم

الدكتور سيد محمد حسين ميري
أستاذ مشارك، جامعة العلوم الزارعية والمنابع الطبيعية خوزستان، أهواز، إيران
miri@asnrukh.ac.ir
الدكتور عليرضا كمالي
أستاذ مساعد، قسم المعارف القرآنية والحديث، جامعة المعارف الإسلامية، قم، إيران
kamali@maaref.ac.ir

Analysis and study of the relationship between interpretation and exegesis in the verses of the Holy Quran

Dr. Seyyed Mohammad Hossein Mobari
Associate Professor , University of Agricultural Sciences and Natural Resources of Khuzestan , Ahvaz , Iran
Dr. Alireza Kamali
Assistant Professor , Department of Quranic and Hadith Studies, Islamic Knowledge University , Qom , Iran

الملخص:-

لقد تمّ تقديم معاني مختلفة لكلمتي التفسير والتأويل في كتابات الكتّاب فيسعى هذا البحث إلى تحليل ودراسة العلاقة بين التفسير والتأويل في آيات القرآن الكريم باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

تشير نتائج البحث إلى أن من معاني التفسير المشهورة هو رفع الغموض عن الألفاظ الصعبة والناقصة»، وبناءً على ذلك يستخدم التفسير عندما يكون المعنى غامضاً بسبب التعقيد في الألفاظ، ولكن يتمّ استخدام التأويل في رفع الشبهة من الأقوال والأفعال المتشابهة. فإنّ التأويل مع رفع الغموض يقوم برفع الشبهات في نفس الوقت، فأينما يقع التشابه في الألفاظ سيؤدّي إلى الغموض في المعني، وبناءً على هذا فإنّ التأويل يقوم برفع الغموض والشبهات معاً. إنّ التأويل والتفسير قريبان جداً فيستخدم كلاهما في مجال القرآن وغيره من الكلام وغير الكلام وفقاً لبعض المعاني إنّ التفسير يشتمل على التأويل أيضاً.

الكلمات المفتاحيّة: التفسير، التأويل، علاقة التفسير والتأويل، العلاقة المفهومية، العلاقة الماهوية.

Abstract:-

There are various interpretations of the concepts of interpretation and Allegorical exegesis. This article employs both descriptive and analytical methods to explore the relationship between interpretation and Allegorical exegesis in the verses of the Holy Quran. The findings of this research indicate that one of the well-known meanings of interpretation is "the clarification of ambiguous and inadequate expressions." Based on this, the application of interpretation arises in contexts where, due to the complexity and intricacy of the words, the meaning becomes vague and inadequate. In contrast, Allegorical exegesis is employed in situations aimed at dispelling doubts and ambiguities related to ambiguous statements and actions. In addition to clarifying ambiguity, Allegorical exegesis simultaneously dispels doubts, so wherever there is ambiguity in the wording, a lack of clarity in meaning arises. Consequently, in Allegorical exegesis, both the clarification of ambiguity and the dispelling of doubts coexist. Interpretation and Allegorical exegesis are not entirely alien to one another, as both pertain to the Quran and non-Quranic texts, as well as spoken and written discourse; according to certain definitions, interpretation also encompasses Allegorical exegesis.

Key words: interpretation , Allegorical exegesis, relationship between interpretation and Allegorical exegesis, conceptual relationship, ontological relationship.

بيان المسألة:

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرّض لأي إنحراف وقد نزل على النبي ﷺ كمعجزة إلهية لهداية البشر. إنّ أهميّة إسترشاد القرآن الكريم قد جعلته كتاباً قابلاً للفهم للبشرية ولذلك فإنّ تفسير القرآن الكريم وتأويله أصبح من أهمّ الأمور التي قام بها النبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام من بعده. ومن جانب آخر، إنّ خلود دين الإسلام وبرنامجه المكتوب أي تعاليم القرآن الكريم التي تسري كضوء الشمس والقمر على مدي التاريخ والزمان وفي أرجاء العالم قد يضاعف فهمه على أساس المنهج.

بناءاً على ذلك، تتجلّي أهميّة استعراض مسألة «التفسير» وجوهرها للتعبير عن أحكام استخدام الآيات وكشف المعاني التي يقصدها ربّ العالمين وفقاً لمبادئ الأدب العربي وأصول العقلانية الحديثة وتقديم الإنطباعات خارج إطار القواعد أو «التفسير بالرأي» حيث يصبح معياراً للتقييم.

فهذه الضرورة في دراسة «التأويل» في الآيات المتشابهة وغيرها، تعتبر ردعاً للتأويل غير الصحيح لمرضي القلوب وأيضاً إتساع تفسير وتأويل جميع آيات القرآن عند أهل البيت عليهم السلام ، فإن معرفة التفسير والتأويل طريقتان مقبولتان ومعقولتان في تطبيق فهم القرآن. فمن هذا المنطلق يقوم هذا البحث بدراسة العلاقة بين معنى التفسير والتأويل في آيات القرآن الكريم.

مفهوم التفسير:

وفقاً لوجهة نظر أهل اللغة إنّ مادّة «فسر» تشتمل على معان مختلفة مثل:

البيان، الإبانة، الفصل، توضيح الشئ، وكشف الأمر الخفي، كشف أو إظهار المعنى المعقول ولما ينبئ عنه.)ر. ك: الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ق، ص ٣٨٠، ابن منظور، ١٤٠٨ق، ج ٥، ص ٥٥؛ الفيومي، ١٤٠٥ق، ج ٢، ص ٤٧٢؛ الطريحي، ١٣٦٧ش، ج ٣، ص ٤٣٧؛ صفي‌پور، بي‌تا، ج ١، ص ١٨٧؛ الزبيدي، ١٣٠٦ق، ذيل مادة «فسر»).

«التفسير» مصدر من باب التفعيل وقد استخدم في هذه المعاني، (ر. ك: ابن دريد، ١٩٨٧م، ج ٢، ٨١٧؛ ابن منظور، ١٤٠٨ق ج ٥، ص ٥٦، «فسر».) وزد على ذلك مفهوم

المبالغة والشدّة أو التدريج (ر. ك: الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ق، ص ٦٣٦؛ الفيومي، ١٤٠٥ق؛ ج٢، ص ٤٧٢، «فسر».) أي كشف المعاني والألفاظ المغطّي. ويشتمل على هذه المعاني أيضاً: كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل؛ (ابن منظور، ١٤٠٨ق، الزبيدي، ١٣٠٦ق، الطريحي، ١٣٦٧ش، الشرتوتي، ١٤١٦ق، ذيل «فسر«) كشف معنى اللفظ وإيضاحه؛ (الطريحي، ١٣٦٧ش، ذيل «فسر») ايضاح معنى اللفظ؛ (الشرتوتي، ١٤١٦ق، ذيل «فسر») شرح قصص القرآن الكريم؛ (الزبيدي، ١٣٠٦ق، ذيل «فسر») كشف ظاهر القرآن؛ (دهخدا، ١٣٧٢ش، ذيل «تفسير») إبانة معنى آيات القرآن الكريم وألفاظه (معين، ١٣٧٥ض، ذيل «تفسير»)

وفقاً لعقيدة البعض من أهل اللغة وباحثي القرآن الكريم إنّ لفظ «فسر» مثل لفظ «السفر» (ر. ك: السيوطي، ١٣٨٠ش، ج ٢، ص ١١٨٩؛ الطريحي، ١٣٦٧ش، ج ٣، ص ٤٣٧؛ الزركشي، ١٤١١ق، ج ٢، ص ٢٣٨) إنّ دراسة وجهة نظر الأدباء وأهل اللغة يبيّن لنا أن مادّة «فسر» و«سفر»، تستخدمان بمعني الكشف والإبانة.

وفقاً لاشتقاق الكبير، يمكن اعتبار لفظ «فسر» مثل لفظ «سفر»، كما اعتقد بعض أهل اللغة أن المعني الرئيسي للسفر هو كشف المغطّي، لأنّ استخدام هذه اللفظة في هذه العبارات «اسفرت المرئة عن وجهها» و«أسفر الصبح» يبيّن لنا معنى الكشف. (ر. ك: ابن فارس، ١٤٠٤ق؛ ابن منظور، ١٤٠٨ق؛ ذيل مادة «فسر»)

بإمعان النظر في أشكال استخدام مادّة «فسر» يفيد أنّ لفظة «التفسير» يتمّ استخدامها لإظهار معنى المعقول وإيضاح النصوص العلميّة وإنّ مادّة «سفر» يتمّ إستخدامها في مجال كشف الأعيان والأشياء الظاهريّة. (ر. ك: ابن منظور، ١٤٠٨ق، ابن فارس، ١٤٠٤ق، الفيومي، ١٤٠٥ق، ذيل ماده «فسر») كما يعتقد راغب الأصفهاني أنّ لفظة «سَفر» تعني كشف الغطاء، ويختصّ ذلك بالأعيان (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ق، ذيل مادة «فسر») ولفظ «فسر» بمعني إظهار المعنى المعقول (راغب اصفهاني، ١٤١٢ق، ذيل مادة «فسر») ويظهر هذا الإختلاف في معنى السفر والفسر، في الإستخدامات القرآنية لهذين اللفظين. لأنّ في الآية ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (سورة الفرقان، آيه ٢٥و ٣٣) قد استخدم اللفظ بمعني إبانة مرا المتكلّم وهو أمر معنوي ومعقول.

ولكن في الآية ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (سورة المدثر، آيه ٣٤) و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ (سورة عبس، آيه ٣٨) يدلّ اللفظ على كشف الأعيان. ويشاهد معنى «السفر» في آيات مثل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ (سورة البقرة، آيه ٢٨٣) لأن لفظ «سَفَر»، بمعني إزالة الغطاء أو الستار وسمّي المسافر بهذا اللفظ لأنّه يكشف عن وجهه الذي كان مستوراً به من قبل. وأثناء السفر يخرج من مخبأه ويظهر في الأرض الواسعة. (ر. ك: الفيومي، ١٤٠٥ق، ص ٢٧٩؛ ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج ٣، ص ٨٢)

دراسة الموضوع والنتيجة

وكما ذكرنا آنفاً إن معظم أصحاب المعاجم قد حددوا معنى «التفسير» أنه يعني اكتشاف معاني الكلمات والألفاظ ووصفها وإبانتها إلا أن المعاني التي ذكرها أصحاب المعاجم لكلمة «التفسير» يمكن تصنيفها إلى أربعة أقسام:

١. المعاني المطلقة دون ذكر المتعلّق؛ مثل: البيان، الإبانة، الفصل، الإيضاح مع ذكر المتعلق العام؛ مثل إيضاح الشئ وكشف المغطّي.

٢. المعاني التي تختصّ بالأمور المعقولة؛ مثل: كشف معنى المعقول، إبانة معنى المعقول وإيضاح المعني الغامض.

٣. المعاني التي تختصّ باللفظ والكلام، كشف معناي لفظ و اظهار آن، توضيح دادن معناي لفظ، إبانة الحديث وايضاحه، كشف المراد من اللفظ المشكل وإظهار خبر السرّ.

٤. المعاني الخاصّة بالقرآن الكريم؛ مثل: شرح قصص القرآن الكريم أو كشف ظاهر القرآن، إبانة معنى ولفظ آيات القرآن وإيضاحها.

وبحسب بنية كلمة «التفسير» التي هي من باب التفعيل وتفيد المبالغة، يمكن اعتبار معناها الحقيقي هو «كشف النصوص المقدّسة والحقائق العلمية.» وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم وغيره. كما يستخدم للعلامات غير اللفظية أيضاً، كتعرّف الطبيب على المرض من خلال علائمه، وإن كان كثرة استخدام كلمة «التفسير» يدور حول التعبير عن

ظاهر آيات القرآن واكتشاف ما يقصده ربّ العالمين من خلال الآيات الكريمة. (ر. ك: بابايي، ١٣٧٩ش، ص ١٠ ـ ٥)

مفهوم التأويل

«التأويل» من الألفاظ الرئيسة في موضوع معرفة نصّ القرآن الكريم ومراد ربّ العالمين. إنّ اتأويل مأخوذ من «اَول» (ابن منظور، ١٤٠٨ق، ص حاء، فيومي، ١٤٠٥ق، ذيل ماده «اول» و ابن اثير، ١٣٦٧ش، ج ١، ص ٨٠ و ٨١) بمعنى أرجعه إلى أصله وغايته، في وجهة نظر أهل اللغة إنّ أهمّ معاني التأويل كما يلي:

١. هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه؛ (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ق، ص ٩٩)

٢. ارجاع الكلام وصرفه عن المعني الظاهر إلى المعني الباطني منه؛ (الطريحي، ١٣٦٧ش، ذيل «اَوْل»)

٣. نقل ظاهر اللفظ إلى أصله الذي يحتاج إلى دليل؛(ابن الأثير، ١٣٦٧ش، ج ١، ص ٨٠ و الزبيدي، ١٣٠٦ق، ذيل ماده «اَوْل»)

٤. صرف الآية عن المعي الظاهري حيث يوافق الكتاب والسنّة؛ (الزبيدي، ١٣٠٦ق، ذيل «اول».)

٥. إظهار ما يرجع إليه الشئ؛(الطبرسي، ١٤٠٦ق، ج ١، مقدمه، فن سوم.)

٦. الإخبار عن معنى الكلام؛ (الفروق اللغوية، ص ٤٣)

٧. إبانة المعني المتشابه؛ (الزبيدي، ١٣٠٦ق نقلاً عن أهل اللغة مادة «اول»)

٨. تفسير الباطن والإخبار عن حقيقة المراد؛ (الجزايري، نورالدين، ١٣٦٧ش، ص٨٩ ـ ٨٨)

٩. تفسير الأحلام؛ (الفيروزآبادي، بي تا، ذيل ماده «اول»)

١٠. كلّ ما يرجع إلى الكلام؛ (صفي‌پور، بي‌تا، ذيل «اول».)

١١. انتهاء الشيء، المصير.

١٢.عاقبة الكلام وما يرجع إلى الكلام؛ (ابن فارس، ١٤٠٤ق، «ذيل اَوْل»)

١٣.١٣)المعني الباطني للقرآن الكريم الذي هو غير ظاهره؛ (الطريحي، ١٣٦٧ش، ذيل «اَوْل»)

١٤.ابتداء الشيء؛ (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ذيل ماده «اول»)

١٥.السياسة والتدبير. (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ذيل ماده «اول»)

دراسة الموضوع والنتيجة

ويمكن تصنيف المعاني المذكورة لمفردة التأويل على النحو التالي:

١. ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه؛ وهذا المعنى يتفق مع جذوره الأصلية كما يتّفق مع وجهة نظر الشيخ الطبرسي؛ وهو يعني الرجوع عن الاحتمالين وموافقته للظاهر (ر. ك: الطبرسي، ١٤٠٦ق، ج ١، فن سوم، مقدمه) هماهنگ است. وتندرج المعاني الأربعة الأولى في هذه الفئة.

٢. التفسير والتعبير عن المعنى الخفي للفظ. وفقاً لهذا المعنى فإن التأويل هو نوع خاص من التفسير. وهذا المعنى يوافق رأي من يرى أن التفسير أعمّ من التأويل. (ر. ك: الراغب الأصفهاني، ١٤١٢ق، ص ١٠٠ ـ ٩٩)

٣. إذا قدّرنا المعنى المصدري للتأويل فهو يعني المؤوّل في تحقيق معنى المتكلم، وإذا تمّ تقديره المعنى الوصفي فهو نتيجة عمل المؤوّل.

٤. ابتداء الأمر: لفظ «اَوَّل» بمعنى الابتداء وهو مشتق من هذا المبدأ. ولذلك فإن كلمة التأويل هي من "الأضداد" التي تستخدم في نهاية الأمر وابتداءه.

٥. السياسة والتدبير: إنّ ادارة المجتمع أو الأسرة هو من مضاديق هذا المعني.

وجدير بالذكر أن وفقاً للمعاني السابقة والتصنيفات التي قدّمناها يمكن أن نسلّط الضوء على النقاط التالية:

الأول: يتم استخدام التأويل بمعنى المصدر وبالمعنى الوصفي كما يتم استخدامه كلامياً وغير كلامياً.

الثاني: إن صرف اللفظ من المعنى الظاهر إلى معنى غير ظاهر يعتبر من الاستخدامات المعجمية لكلمة التأويل في المصادر المتأخّرة. وهذه النقطة تبدو مهمة أيضًا في المعنى الاصطلاحي للتأويل.

الثالث: إنّ استخدام لفظ التأويل بمعني السياسة وابتداء الأمر، قليل؛ ولكن له جذور لغوية ولم يستخدم في القرآن الكريم بهذا المعني.

العلاقة بين التفسير والتأويل:

إن لكلمتي «التفسير» و «التأويل» بعض أوجه التشابه والخصوصية من حيث المفهوم والاصطلاح، حيث نتطرّق إليها هذا القسم.

أ. العلاقة الدلالية بين التفسير والتأويل

لقد ذكرنا آنفاً معاني كلمتي التفسير والتأويل في المعاجم. فمن معاني التفسير الشهيرة هو إزالة الغموض عن الكلمات الصعبة والغامضة، ولذلك يستخدم التفسير عندما يكون المعنى غامضا وصعباً بسبب الغموض والتعقيد في الكلمات، وبالطبع إنّ الأسباب اللفظية والمعنوية تلعب دوراً في خلق الغموض والنعقيد. لكن يتمّ استخدام التفسير عندما: يقصد به إزالة الشبهة من الألفاظ أو الأفعال المشابهة. ولذلك يستخدم التأويل عندما يكون ظاهر الكلمة أو الفعل مريباً بحيث يتم إخفاء حقيقة معنى الكلام وقصد المتكلم الرئيسي، وتكون مهمة المؤوّل إزالة الغموض ورفع الشبهة. فلذلك إنّ التأويل بالإضافة إلى إزالة الغموض، فهو أيضًا يزيل الشبهة في نفس الوقت، فكلما كان هناك تشابه في الألفاظ قد ينشأ غموض في المعنى؛ ولذلك لا بد في التأويل من إزالة الغموض وتبديد الشبهة معاً. (معرفت، ١٤١٨ق، ج١، ص١٨ - ١٩).

وفقاً لما ذكرنا آنفاً، قد تبيّن أنّ لفظي التأويل والتفسير ليسا غريبين تماما عن بعضهما البعض، فكلاهما يستعمل في اللقرآن الكريم وغيره، وفي الكلام وغير الكلام، وفي بعض معاني التأويل قد يشمل التفسير معنى التأويل فإن لكلمتي التفسير والتأويل وجوه معانٍ مختلفة، وهي كما يلي:

التفسير مشتق من كلمة «الفَسْر» التي في جميع معانيها يوجد نوعاً من الكشف وتوضيح الغموض، أما التأويل فهو مشتق من كلمة «الأول» التي تعني المرجع والرجوع.

جميع المعاني التي ذكرت لكلمة التفسير هي من نوع واحد وفي جميعها نوع من الكشف وإزالة الخفي والغموض، أما في التأويل فيذكر ثلاثة أقسام من المعاني، ومن تلك المعاني هناك معنى واحد يشبه التفسير أو قريب إليه ومن الصنفين الآخرين هو صنف المعاني المصدرية، وجامعها «الإرجاع» والصنف الآخر هو المعاني الوصفية، وجامعها «مايؤول اليه الشيء»؛ وإنه يعني شيئًا يعود إليه الكائن (اللفظي وغير اللفظي). وهاتان الفئتان تلاءمان المعنى الأول (المادّة الأساسي للتأويل) ونفس الفرق الموجود بين معنى «الأول» و«الفسر» يوجد أيضا بين معنى التفسير وهاتين الفئتين من معنى التأويل.

إن استخدام كلمة «التفسير» في معنى الوصفي لم يكن شائعاً، ولذلك لا يظهر معنى الوصفي في المعاني التي ذكرها علماء اللغة لكلمة «التفسير»؛ إلا أنّ استخدام كلمة «التأويل» شائع في المعنى الوصفي، وقد ورد له عدة معانٍ وصفية، وفي الحالات السبعة عشر التي استخدمت في القرآن الكريم فهي بمعني الوصفي في جميع الاستخدامات. (ر. ك: بابايي، ١٣٧٩ش، ص ٣١ - ٣٢)

إنّ التفسير والتأويل، بهذه الفروق التي تمّ ذكرها، بينهما أيضا سمات مشتركة في اللفظ، مما جعل البعض يميل إلى معنى واحد لكل منهما لغةً ومصطلحاً، لأن أهل اللغة عادة ما يستخدمون كلمة التفسير من مادّة "الفسر" أو "السفر" على أنها تعني فتح الستار والكشف، والتأويل من مادة "أول" بمعنى الرجوع، يمكن اعتباره في إرجاع اللفظ وفهمها إلى المعنى والغرض الحقيقي، وهو في الواقع يعتبر مرجعها الدلالي. (ر. ك: اسعدي، ١٣٩٤ش، ص ١١٦)

بعبارة أخرى، بنظرة تحليلية إلى مادة «أولى»، يفهم أن في معناها معاني خفية مثل «الرجوع» و«المصير». ويوجد بين هذين المعنيين علاقة مشتركة وهو التعبير عن «حقيقة الأمر» وتتحقق حقيقة الأمر بعد معرفة أسبابها ومبادئها إما بالرجوع إلى أصلها وإما بالعودة إلى غاياتها ونتائجها، وحقيقة الأمر هذه سواء في القول أو الفعل يتمّ تحقيقها بالإمعان النظر في الأسباب ونتائجها، فحركة التأويل نحو المبدأ والهدف تعتبر حركة عقلانية في أسباب ونتائج أي ظاهرة. وقد عبّر القرآن الكريم عن معناها بـ «التدبّر والاعتبار» لأن "التدبّر" يعني التفكير فيما وراء الشيء و"الاعتبار" يعني التفكير في عواقبه.

ويكتب بدر الدين الزركشي في هذا المجال: «أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر و التفكر. واعلم انّه لايحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقةً و لايظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة و في قلبه بدعة أو اصرار على ذنب أو في قلبه كبر أو هوي.» (الزركشي، ١٤١١ق، ج ٢، ص ١٩٧)

ولذلك فإن الكشف عن ظاهر اللفظ والوصول إلى المعنى المخفي فيها يتوافق مع العودة من ظاهر الكلمة إلى معنى وقصد المتكلم ودال الكلمة، وهذا التقارب في مضمون التأويل والتفسير قد دفع بعض العلماء إلى القول بأن معنى التفسير والتأويل واحد. (الزركشي، ١٤١١ق، ج ٢، ص ١٦٢ - ١٦٥)

ب. علاقة ماهوية التفسير والتأويل

إنّ العلاقة المنطقية بين التفسير والتأويل في كلام المفسرين لا تتمتع بالتماسك الكافي وهي في حالة دوران من «المساواة»" إلى «التباين» وهي تدلّ على تشتت الألفاظ في هذا المجال. وأهم وجهات النظر في هذا المجال هي المساواة في التفسير والتأويل، والتباين بين التفسير والتأويل، وعمومية وخصوصية العلاقة بين التفسير والتأويل حيث في بعض الآراء اعتبر التفسير عاماً والتأويل خاصاً، والبعض الآخر اعتبر التأويل عاماً والتفسير خاصاً.

الأوّل: المساواة

البعض يعتقد المساواة بين التفسير والتأويل. إنّ الملاحظة المهمّة في هذا المجال هو التقارب اللغوي بين لفظ التفسير والتأويل وكذلك استخدام كلا اللفظين في نفس المعني؛ هو أعمّ من مساواة اللفظين.

الثاني: التباين

هناك فئتان يؤيّدان هذا الرأي:

- الأول: جماعة لا تعتبر التأويل من دلالات الألفاظ ومصاديقها، بل تعتبره الحقيقة والموضوعية الخارجية، وعلى رأسهم العلامة الطباطبائي وجماعة من تلامذته.

يرى العلامة الطباطبايي أنّ تأويل القرآن تلك الحقيقة التي تعتبر وثيقة لجميع الآيات القرآنية. ولذلك فإن تأويل القرآن يتعلق بالأمور الخارجية والموضوعية، وليس من نوع الألفاظ، لذلك ليس للآيات المتشابهة تأويل محدد، على عكس التفسير الذي يتعلق بمعاني المراد من الألفاظ. والتأويل عنده هو الحقيقة التي يعود إليه كل شيء ويبنى عليه، ويفهم من الآيات الكريمة أنه وراء ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، هناك حقيقة أخرى علاقتها بالقرآن كعلاقة الروح إلى الجسد، والمُمثَّل إلى المثل، والذي عبّر عنه ربّ العالمين بكتاب الحكيم الذي تقوم عليه جميع تعاليم القرآن ومضامينه، وليس من نوع الألفاظ ومعانيه. (ر. ك: الطباطبايي، ١٤٠٧ق، ج ٣، ص ٢٧، ٣١، ٥٧، ٦٣)

وفقاً لهذا الرأي، فإن التأويل حقيقة موضوعية وقابلة للتحقيق؛ إلا أنه بخلاف التفسير لا يمكن استيعابه بالدروس والمناقشات، لأن التأويل هو كائن خارجي لا يمكن العثور عليه إلا بالعلم الحضوري، ويجب الذهاب إليه، فإنّه لا يأتي إلى أحد. (جوادي آملي، ١٣٧٩ش، ج ١٣، ص ١٣٠) إنّ التفسير إمّا كان ظاهرياً أو باطنياً ومهما امتد، فهو منفصل عن التأويل. يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية «فَلينظُرِ الإنسَانُ إلى طَعَامِهِ» (سوره عبس، آيه ٢٤): «و علمه الّذي يأخذه عمّن يأخذه»؛ (الكليني، ١٤١٣ق، ج ١)

إنّ هذا التعبير الدقيق هو بيان معنى الآية وتفسيرها، وليس تأويلها، لأن العلم والخبز كلاهما من مصاديق الطعام، ولكن الخبز طعام محسوس، والعلم طعام يمكن فهمه أيضًا من الآية... فالقرآن الكريم يشتمل على جميع العلوم والمعارف بالإضافة إلى ذلك من ناحية التفسير والألفاظ والمدلولات فإنه يستخدم في الأدب والأصول والفقه وعلم الكلام والفلسفة والتصوف كما أن لها تأويلاً لا يمكن تحقيقه أبداً باللغة والأدب والفقه والأصول ونحو ذلك. (جوادي آملي، ١٣٧٩ش، ص ١٧٢ و ١٧٣)

«ومما قيل عن الفرق بين التفسير والتأويل، يتضح أيضاً الفرق بين "المفسر" و"المؤول" والمؤول الحقيقي هو الذي يصل إلى الحقيقة من معنى الآية، الذي لا يعبر عنه بالألفاظ ومن لا يملك كهذه السلطة ويقوم بالتأويل فيعتبر عمله التأويل بالرأي. فـ «ابن عباس» الذي أطلق على نفسه العالم بالتأويل، لأنه كان يعتبر التأويل تفسيراً، وربما قد أخذ تأويل بعض آيات القرآن الكريمن أستاذة أمير المؤمنين، ولكن هذا لا يعني أن عنده تأويل القرآن

الكريم.» (جوادي آملي، ١٣٧٩ش، ص ١٧٤ - ١٧٥)

- الثاني: الجماعة التي تعتبر التفسير من نوع مدلولات الألفاظ، تحدد مجالين مختلفين للتفسير والتأويل، يرتبط كل منهما بحقل محدد، وإن كان من الصعب اكتشاف التباين في معناه المنطقي بين هذه الآراء.

إنّ ماتريدي (ر. ك: شاكر، ١٣٦٧ش، ص ٣١ - ٣٢) يرى أن التفسير قطعي على معنى الله تعالى، فإذا وُجِد عليه دليل قطعي فهو "تفسير صحيح" وإلا فهو "تفسير بالرأي" وتأويل ترجيح هو من المعاني المحتملة على المعاني الأخرى دون أن يحدّد مراد ربّ العالمين سبحانه وتعالي.

يقول أبوطالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً كتفسير «الصراط»: بالطريق و«الصيب»: بالمطر والتأويل تفسير باطن باللفظ مأخوذ من الأوّل وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأنّ اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرصَادِ» (سورة الفجر، آيه ١٤) تفسيره أنّه من الرصد، يقال رصدته رقبته، والمرصاد «مفعال» منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والإستعداد للعرض عليه.» (ر. ك: السيوطي، ١٣٨٠ش، ج ٤، ص ١٦١ - ١٦٢)

يقول أبونصر القشيري أيضاً: «إنّ التفسير يقتصر على السماع والتأويل يعتمد على الاستنباط». (ابن تيميه، بي تا، ص ٨ و ٩) كما يقول ابن الخازن: «إنّ التفسير يتوقّف على الرواية الصحيحة والتأويل يتوقّف على الفهم الصحيح.» (ر. ك: الخازن، ١٤١٥ق، ج ١، ص ١٠) وفريق آخر يرى أن التفسير هو فهم ظاهر القرآن، والتأويل هو فهم باطن القرآن. (ر. ك: بابايي، ١٣٧٩ش، ص ٣٤)

ويبدو أن هذه الآراء لا تختلف عن بعضها البعض، وقد تم تطرّق كل منها بطريقة مختلفة في أوجه معاني التفسير والتأويل.

الثالث: العام والخاص

ويرى بعض المفسرين أن نسبة التفسير والتأويل هو العام والخاص المطلق. فمنهم من يرى أن التأويل عام مطلق، والتفسير خاص مطلق، والبعض الآخر يرى أن التفسير عام مطلق، والتأويل خاص مطلق. وخلاصة هذين الرأيين هو على النحو التالي.

١. التأويل العام والتفسير الخاص

يقول بعض علماء القرآن المعاصرين: «إذا اعتبرنا التأويل هو معنى الألفاظ، فمن الواضح أنه يشمل جميع أنواع المعاني؛ سواء تلك التي يظهر فيها اللفظ أو تلك التي فيها الغموض والشبهة. والتفسير يقتصر على تلك المعاني التي لا يعبر عنها اللفظ بوضوح، بل هي مجملة بالنسبة إليها، وللوصول إلى معنى ربّ العالمين سبحانه تعالى لا بد من إزالة الشبهات وشرح آيات القرآن الكريم وتبيينها.

(ر. ك: شاكر، ١٣٦٧ش، ص ٧٩؛ شاكر و بابايي، ١٣٨١ش، ص ٧٤ و شاكر، ١٣٨٢ش، ص ٣٣)

ولعل من أسباب عمومية التأويل عدم اختصاصه بالألفاظ، لأنه يشمل الأفعال بالإضافة إلى الألفاظ.

٢. التفسير العام والتأويل الخاص

يرى الراغب الاصفهاني: «إنّ التفسير أعمّ من التأويل، لأنّه يرتبط بالفاظ والمعاني؛ ولكنّ التأويل يختصّ بالمعاني كذلك أنّ التفسير يرتبط بالكتب السماوية وغير السماوية؛ ولكن التأويل يرتبط بالكتب السماوية فحسب». (ر. ك: الراغب الأصفهاني، ١٤٠٧ق، ج٢، ص١٦٤).

ويرى آية الله معرفت: «إنّ التفسير هو إزالة الغموض عن الألفاظ الصعبة؛ ولكن التأويل يختصّ بالآيات المتشابه... ولذلك فإن العلاقة بين التفسير التأويل هي عامة وخاصة؛ التأويل أخص والتفسير هو أعمّ؛ لأنّ التأويل هو التفسير مع الزيادة أي يعمل عمل التفسير مع (إزالة الغموض ورفع الشبهة) ولكن كل تفسير ليس تأويلاً. ونتيجة لذلك فإن التأويل هو شكل من أشكال التفسير، ومن هنا فسر المفسرون جميع آيات القرآن (المحكمات والمتشابهات)؛ لكن بالنسبة للآيات المتشابهة فإن نفس التفسير هو التأويل. (ر. ك: معرفت، ١٣٦٧ش، ج ٣، ص ١٠ - ١١، و معرفت، ١٤١٨ق، ج ١، ص ١٨ - ١٩)

٣. الاتجاهات المختلفة في التمييز بين التفسير والتأويل

من خلال شرح آراء العلماء - وهو بمثابة التلخيص - يعبر الشهيد الصدر عن نقاط إبداعية فيما يتعلق بالتفسير والتأويل:

كلتا كلمتي التفسير والتأويل تعنيان التعبير عن معنى اللفظ وكشف وجه الكلمة. «اوَّلَ الكلامَ تأويلاً» يعني أنه تأمل الكلام وقدر معناه وقام بتفسيره.

وبينما يكاد المفسرون يعتقدون بالإجماع على أن هاتين الكلمتين متفقتان عموما في المعنى، فإنهم اختلفوا في تحديد درجة التطابق بين هاتين الكلمتين. ومن الآراء والنظريات في هذا الصدد ما يلي:

- الوجه الأول: أن منهج المفسرين العام هو أنهم يعتقدون أن لفظي "التفسير" و"التأويل" مترادفان. وكل تفسير هو تأويل، وعكسه أيضاً صحيح. ولذلك فإن النسبة بين التفسير والتأويل "متساوية".
- الوجه الثاني: فهو المنهج العام للعلماء المتأخرين الذين يعتقدون بالإجماع أن "التفسير" في بعض جوانبه يخالف "التأويل": إما في طبيعة "المفسَّر" و"المؤوَّل" أو في نوع الحكم الصادر من قبل «المفسِّر» أو «المؤوِّل» أو في طبيعة السبب الذي يعتمد عليه "التفسير" و"التأويل".

وفي هذا المجال هناك نظريات مختلفة، سنذكر هنا ثلاث نظريات منها:

- الأوّلى: التمييز بين التفسير والتأويل من حيث طبيعة "المفسَّر" و"المؤوَّل"؛ تقوم هذه النظرية على هذا المعتقد بأن التفسير له علاقة عامة وخاصة بالتأويل، فالتأويل يستخدم بالنسبة إلى أي لفظ له معنى ظاهر، إلا أن ذلك اللفظ يحمل على غير ذلك المعني الظاهري؛ ويسمّي الحمل على غير المعنى الظاهري "التأويل". إنّ التفسير أعمّ من التأويل، لأن التفسير هو التعبير عن مدلول اللفظ على وجه مطلق، سواء كان ذلك المدلول مخالفا للمعني الظاهر أو يوافقه.
- الثانية: التمييز بين التفسير والتأويل في نوع الحكم؛ تقوم هذه النظرية على الاعتقاد بأن يوجد بين التفسير والتأويل نوع من التباين. فإنّ «التفسير» هو اليقين أن مراد

ربّ العالمين هو كذا وكذا. و"التأويل" يعني رجحان المعنى المحتمل لمعني اللفظ دون اليقين به. وهذا يعني أن "المفسِّر" يصدر أحكاماً قطعية و"المؤوِّل" يصدر أحكاماً تقوم على الرجحان.

- الثالثة: إنّ التمييز بين التفسير والتأويل يرجع إلى السبب الذي يعتبر مستنداً لكليهما؛ تقوم هذه النظرية على الاعتقاد بأن التفسير يعني التعبير عن مدلول اللفظ القرآني بالاعتماد على الدليل الشرعي، والتأويل يعني التعبير عن المدلول القرآني بالاعتماد على الدليل العقلي.

٤. الفرق بين طرق التفسير والتأويل

إنّ للقرآن ظاهر وتنزيل، وباطن وتأويل، أي أن القرآن له جوانب وطبقات ومستويات مختلفة من المعنى. وقد تم بيان وصف هذا التطور في معاني القرآن الكريم في ضوء الآيات والروايات وكلام المفسرين وعلماء العلوم القرآنية، وكانت خلاصة النتائج التي تم الحصول عليها في الفصول السابقة كما يلي:

أ. العلوم القرآنية التي تحصل من ظاهر القرآن الكريم وتنزيلخ وفقاً للأصول العقلانية يسمى التفسير.

ب. إنّ مستويات وطبقات مختلفة أخرى من معاني القرآن الكريم تسمى الباطن أو التأويل، ومن أجل فهمها، هناك بحاجة إلى حلول خاصة، ووفقاً للشروح المختلفة للتأويل، توجد أساليب ومعايير مختلفة أيضا، وسيتم مناقشتها في مقال آخر.

نتيجة البحث:

وفقاً لما قدمناه في هذا البحث عن المعاني المختلفة للتفسير والتأويل نستخلص النتائج كما يلي:

من معاني التفسير المشهورة «رفع الغموض عن الألفاظ الصعبة والناقصة». وعلى هذا يستخدم التفسير عندما يكون المعنى غامضا وناقصا بسبب التعقيد في الألفاظ.

ولكن التأويل يستعمل حيث يرفع الشبهة من الأقوال والأفعال المتشابهة. وبالإضافة إلى رفع الغموض، فإن التأويل يزيل الشك في نفس الوقت، فكلما كان هناك تشابه في

الألفاظ، يحدث غموض في المعنى، ولذلك يجتمع في التأويل إزالة الغموض والشبهة معاً.

ولا يختلف التأويل والتفسير عن بعضهما اختلافا تاما، لأن كليهما يستعمل في القرآن الكريم وغيره، وفي اللفظ وغير اللفظ، وفي بعض معاني التأويل يشمل التفسير التأويل أيضاً.

للتنويه

هذا البحث مستخرج من المشروع البحثي المصادق عليه والممول من قبل جامعة العلوم الزارعية والموارد الطبيعية خوزستان المرقم ١٤٠٣/١٥.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الاثر، قم، اسماعيليان، ١٣٦٧ش.

٢. ابن تيميه، تقي الدين احمد، مقدمة في اصول التفسير، بيروت، دار مكتبة الحياة، بي‌تا.

٣. ابن دريد، محمد بن حسن، جمهره اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٤. ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٠٤ق.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨ق.

٦. اسعدي، لايه‌ها و سايه‌هاي معنايي، قم، بوستان كتاب، ١٣٩٤ش.

٧. بابايي، على اكبر و همكاران، روش شناسي تفسير قرآن، قم و تهران، پژوهشگاه، حوزه و دانشگاه و سمت، ١٣٧٩ش.

٨. بابايي، على اكبر، باطن قرآن كريم، معرفت، شماره٢٦، قم، ١٣٧٧ش.

٩. بابايي، على اكبر، تأويل قرآن، معرفت، شماره٦، سال، قم، ١٣٧٢ش.

١٠. الجزايري، سيد نور الدين، فروق اللغات، بي جا، مكتب النشر الثقافه الاسلاميه، ١٣٦٧ش.

١١. جوادي آملي، عبدالله، تسنيم، قم، اسراء، ١٣٧٩ش.

١٢. الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحالح تاج اللغة و صحاح العربية، بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٩٠م.

١٣. حاجي خليفه، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون، بيروت، دار الكتب الاسلاميه، ١٤١٣ق.

١٤. الخازن، تفسير خازن المسمي لباب التاويل في معاني التنزيل، بيروت، دارا لكتب العلميه، ١٤١٥ق،

١٥. دهخدا، على اكبر، لغت نامه، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٢ش.

١٦. الراغب الأصفهاني، ابوالقاسم، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، بيروت و دمشق، دار العلم، الدار الشاميه، ١٤١٢ق.

١٧. الراغب الأصفهاني، ابوالقاسم، مقدمه جامع التفاسير، كويت، دار الدعوة، ١٤٠٥ق.

١٨. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس مِن جواهر القاموس، قاهرة، المطبعه الخيريه، ١٣٠٦ق.

١٩. الزركشي، محمد عبدالله، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٤١١ق.

٢٠. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، قم، فخر الدين، ١٣٨٠ش.

٢١. شاكر، محمدكاظم، مباني و روش‌هاي تفسيري، قم، مركز جهاني علوم اسلامي، ١٣٨٢ش.

٢٢. شاكر، محمد كاظم، و على اكبر بابايي، باطن و تأويل قرآن، قم، مركز مطالعات وپژوهش‌هاي فرهنگي حوزه علميه قم، ١٣٨١ش.

٢٣. الشرتوتي، سعيد، اقرب الموارد، تهران، اسوه، ١٤١٦ق.

٢٤. صفي پور، عبدالرحيم، منتهي الارب في للغة العرب، تهران، كتابخانه سنايي، بي‌تا.

٢٥. الطباطبايي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت مؤسسه الاعلمي، ١٤١٧ق.

٢٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦ق.

٢٧. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تهران، مكتب نشر الثقافة الاسلاميه، ١٣٦٧ش.

٢٨. العسكري، ابو هلال، الفروق اللغوية، قم، مكتبه بصيرتي، ١٣٥٣ش.

٢٩. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، دار المعرفة، بي‌تا.

٣٠. الفيومي، احمد بن محمد، مصباح المنير، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥ق.

٣١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، بيروت، دار الاضواء، ١٤١٣ق.

٣٢. معرفت، محمدهادي، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، تهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ١٤٢٧ق.

٣٣. معرفت، محمدهادي، التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب، مشهد، دانشگاه علوم اسلامي رضوي، ١٤١٨ق.

٣٤. معرفت، محمدهادي، التمهيد في علوم القرآن، قم، مركز مديريت حوزه علميه قم، ١٣٦٧ش، چ٢.

٣٥. معرفت، محمدهادي، تفسير و مفسران، قم، التمهيد، ١٣٧٩ش.

٣٦. معين، محمد، فرهنگ **معين**، تهران، اميركبير، ١٣٧٥ش.